



مقومات التكليف - اللقاء الثالث

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2021-12-13

عمان

الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبيِّنا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الإنسان هو المخلوق المكلف:

أحبابنا الكرام؛ مع اللقاء الثالث من لقاءات مقومات التكليف وهو اللقاء الأخير من هذه المجموعة؛ مقومات التكليف. حتى أذكر بما تحدثنا عنه سابقاً، فقد تحدثنا عن الإنسان هو المخلوق المكلف من بين كل المخلوقات كلفه الله هو والجن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)

[سورة الذاريات]

لأنه مكلف فلا بد من أن يعطيه الله تعالى من رحمته، وتمام فضله، وتمام عدله، وتمام حكمته، أن يعطيه ما يعينه على أداء المهمة، الكائنات الأخرى لا يوجد عندها مهمة بالحياة، لا الحيوانات- أجلكم الله - ولا الملائكة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)

[سورة الذاريات]

النباتات، والجمادات، كل المخلوقات مسيرة إلى حد كبير، فهي تسير بغرائزها، تحكمها الغرائز، تمشي، الإنسان هو المخلوق المكلف، فلما كلفه الله تعالى أعطاه ما يعينه على أداء مهمته.

مقومات التكليف:

1 - تسخير السماوات والأرض للإنسان:

أول شيء أعطاه ما في السماوات وما في الأرض مسخراً لأجله، سخر لنا كل شيء جلّ جلاله.

2 - العقل:

ثم أعطاه ملكة فكرية من أجل أن يعقل ما في هذا الكون، يعقل النصوص الشرعية، يعقل المدركات، فيصل من خلالها إلى نتائج، فالإنسان يعقل، يتذكر، يحاول، يفكر، يستنبط، يستنتج، ينتبه، يركز، هذه كلها قوة إدراكية غير موجودة بهذا الشكل عند باقي المخلوقات غير المكلفة.

3 - الفطرة:

ثم أعطاه الفطرة، أي فطره بحيث يحب الخير، وينزع إليه، ويكره الشر ويرفضه في أصل خلقه، في أصل خلقه لا يحب الكذب، ولا العش، ولا الظلم، في أصل خلقه، أما هذا الشاعر الذي قال:



العدل أساس في النفوس

هذا غير صحيح، فالظلم ليس أساساً في النفوس، بل العدل أساس في النفوس، أصل الإنسان أنه يحب العدل، ائب بطفل واعمل مظلمة أمامه يبكي الطفل على فطرته، إذا مزحوا مع الطفل أحياناً، يحاول أخواه أن يضرب أحدهما الآخر يبكي الطفل، ينزعج من منظر الظلم، الإنسان في أصل خلقه يكره الظلم، كل مولود يولد على الفطرة، فالفطرة تنزع إلى الخير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ
وَوَضَعَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ (7) أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ

[سورة الحجرات]

هذا من مقومات التكليف أن الله تعالى جعلك تحب الخير، ولو لم يكن الإنسان حَيِّراً، لكنه يحب الخير.

4 - الشرع:



الشرع هو أساس التكليف

ثم بعد الفطرة تحدثنا عن الشرع، الشرع؛ هو أساس التكليف، لكن أرجأنا الحديث عنه حتى يضبط ما سبق من الأمور، الشرع أي افعل ولا تفعل، يجوز ولا يجوز، حلال وحرام، هذه المنظومة القيمية غير موجودة إلا عند المكلف، المكلف يقول لك: هذا المال من أين؟ حلال أم حرام؟ لا يدخل المال إلى جيبه قبل أن يعلم مصدره، لا يأكل طعاماً حتى يعلم مصدره هل هو حلال أم حرام، لا ينظر إلى ما لا يحل له، لا يطلع إلى ما يحرم عليه، يضبط تصرفاته وفق الشرع، فالشرع هو المقوم الرابع، افعل ولا تفعل.

قد يقول قائل: ما دام هناك عقل وفطرة، يدرك الحق، يدرك الخير، يدرك الشر، والفطرة تقومه فإذا أخطأ يشعر بخطئه، وانتهى الأمر، لماذا الشرع؟ لأن العقل وحده لا يمكن أن يشترط لصاحبه، لأن العقل يرتبط بالبيئة، يرتبط بالواقع، فأحياناً قد يرى بعض الناس بعقولهم أن الربا لا شيء فيه، أو أن الزنا لا شيء فيه، ماذا تريد أكثر من هذا؟! فالعقل وحده يصل، وهذا ما نراه اليوم، والفطرة وحدها إن لم تغد بشكل دائم بمجتمع سليم تطمس، فلا بد من شرع يبين لك، و يحكم الفطرة، و يحكم العقل، فالشرع هو المقوم الرابع، وهذا تحدثنا عنه سابقاً.

5 - الشهوة:



الإنسان يرقى إلى الله بالشهوة

اليوم المقوم الخامس؛ وهو الشهوة، قد تستغربون هل الشهوة التي تدفعنا إلى الحرام هي مقوم من مقومات التكليف؟ أي هي شيء أعطانا الله إياه يعيننا على أداء المهمة، لأن الإنسان لو لم يكن عنده شهوة لكان ملكاً، فأين التكليف بالموضوع؟ لو لم تكن عنده شهوة فهو ملك، كل شيء يحبه وفق الشرع وانتهى الأمر، لا يوجد شهوة تعارض الفطرة، لا يوجد شهوة تعارض التكليف، فلم يعد هناك تكليف أصلاً، تكليف بلا شهوة لا يوجد، فالشهوة مقوم من مقومات التكليف، لأن الإنسان يرقى إلى الله بالشهوة، كيف يرقى إلى الله بالشهوة؟ يشتهي المال الحرام فيرفضه فيرقى عند الله، يشتهي المرأة التي لا تحل له فيغض بصره عنها فيرقى عند الله، يشتهي المرأة فيتزوج وفق شرع الله فيشكر الله فيرقى عند الله، يشتهي المال الحلال فيسلك الطرق المشروعة ويتاجر بمال حلال فيكسب مالا حلالاً فيقول: يا رب لك الحمد فيرقى عند الله، إذا يرقى عند الله عندما يحقق شهوته في الحلال، ويرقى عند الله عندما يصرف شهوته التي تأتيه من حرام، فيرقى مرتين صابراً و شاكراً، صابراً إن لم تتحقق الشهوة، وشاكراً إذا تحققت الشهوة، فالشهوة مقوم من مقومات التكليف، أعاننا الله بها على أداء المهمة، لكن إن استخدمت بالشكل الصحيح.

لو سأل سائل: النار شيء سلبي أم إيجابي؟ نقول له: لا نستطيع أن نجيبك، النار شيء إيجابي إذا كان موضعها بمستودع محكم، وانتقلت للأنايب المحكمة، وأشعلنا الغاز، وطبخنا طعاماً طيباً وأكلناه، فالنار إيجابية، والنار سلبية إذا تسرب الغاز، والولد ليس منتبهاً، أشعل شرارة فاشتعل البيت، النار نفسها هنا أحرقت، وهنا طبخت، هنا رفعت من شأن الإنسان، و هنا أنزلت من شأنه، هي نفسها.

فالشهوات ليست قوى مدمرة وليست قوى إيجابية خيرة، هي موقوفة على طريقة استخدامها، فالشهوة يمكن أن تُلبى بالحلال، ويمكن أن تلبى بالحرام، من يلبىها في الحلال يرقى، ومن يلبىها بالحرام يسقط و هو، هذا باختصار.

إذاً الشهوة مقوم من مقومات التكليف المطلوب في التعامل معها أن يستخدمها الإنسان في الحلال، الإسلام لا يحرمك من شيء، لا يقول لك: لا تأكل، كل ما شئت، لكن يوجد قائمة ممنوعة؛ اللحوم متنوعة، يوجد لحم الخنزير، وبعض اللحوم المحرمة، لا تقربها، نقطة انتهى، الأشرطة محللة، الخمر محرم، الطعام مباح، في كل السنة يوجد شهر من طلوع الفجر إلى غروب الشمس يمنع فيه المباح هذا، المرأة؛ يوجد زوجة وزوجتان وثلاث وأربع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
"بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ" إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ (86)

أكثر من هذا لا يوجد، عشيقه لا يوجد في الإسلام، كل يوم في ناد ليلي والعياذ بالله لا يوجد في الإسلام، يوجد منهج يجب أن تنضبط فيه، ليس كله حرام، جزء منه حرام، الجزء الذي يضر بك، الجزء الذي يرقى بك ويسمو حلال، تحلو به النفوس، الحرام يحرم النفس من مناجاتها لخالقها، وقربها من خالقها، كل ما يحرمك من الخير فهو حرام، وكل ما تحلو وتطيب به النفوس فهو حلال.



الشهوة يجب أن تنضبط بمنهج الله

إذا الشهوة يجب أن تنضبط بمنهج الله، ما كل مال حرام، هناك أموال محرمة، يوجد ربا، وغش، وتدليس، وكذب، واحتيال، وتجارة والعياذ بالله بالمخدرات، وبالسلح، وهناك بالمقابل تجارة بالحلال ومال حلال، والأمر بخير، إذا ينبغي أن تنضبط شهوتنا وفق منهج الله تعالى، أن تأتي حركتك في الشهوة مطابقة لمنهج الله، علينا ألا نلغي الشهوة أبداً، لكن نستخدمها في طاعة الله عز وجل، نكسب المال، نتعلم، يعلو ذكرنا في الأرض، هناك شهوة اسمها: العلو في الأرض، الناس تحب العلو في الأرض، معنى العلو في الأرض: بقاء الذكر أي الشهرة، لا يوجد مانع، الإنسان يحب أن يقال عنه: فلان ما شاء الله! الأول في تخصصه، تاجر، ما شاء الله! أمين ومحترم، مدرس ناجح، يحب الإنسان أن يشار إليه بالبنان، لكن هل هذه الشهوة حرام كلها؟ لا، لكن إذا أردت أن تصل إليها فاسلك طلب العلم، التجارة الحلال، التعامل الطيب مع الناس، يرفع الله ذكرك، هناك أناس يرفعون ذكركم بالبغي والعدوان فيصبح اسمه على كل لسان.

إبليس أشهر من نار على علم، إبليس أشهر واحد في الأرض، لأنه عمل شيئاً لم يعمله أحد، قال له ربنا: اسجد، قال له: لا أسجد، كبيراً واستعلاء، فصار اسمه على كل لسان! لكنه إبليس اللعين والعياذ بالله، فليس الهدف أن يشتهر المرء، لكن الإنسان عليه أن يشتهر بطاعة، وبخير.

هناك أحد الأعراب يروى أنه - والعياذ بالله - دخل وأراد أن يبول في ماء زمزم، فأمسكوا به واقادته الشرطة في العصر العباسي، فقالوا: لماذا تفعل ذلك؟ قال: كنت أريد أن يقول الناس كلما رأوني: هذا الذي يال في ماء زمزم، أي يعمل شيئاً لم يعمله أحد، فأراد أن يفعل شيئاً يعلو به في الأرض لكنه سيلعن على كل لسان، فالهدف ليس أن يعلو الذكر، الهدف أن يعلو الذكر في الخير.

فالشهوة تحقق لك ذلك، والإسلام يحقق لك رفعة الذكر، إذا كنت طائفاً، أميناً كل الناس تحبك وتذكر في المجالس يقال: ما شاء الله! فلان تاجر أمين، صدوق، فلان ما شاء الله مدرس ناجح، علمنا الأخلاق والتربية منذ أن كنا صغاراً، تجد ذكره عطراً على الألسنة، على ألسنة المؤمنين وحتى أحياناً غير المؤمنين، الذين يعترفون بالفضل لأصحاب الفضل.

إذا الشهوة مباحة شهوة المال، أو شهوة النساء، أو شهوة العلو في الأرض، لكن يجب أن تكون هذه الشهوات الثلاثة في طاعة الله، هذا المقوم الخامس.

6 - حرية الاختيار:

المقوم السادس والأخير هو حرية الاختيار، لما قبل الإنسان حمل الأمانة جعله الله مختاراً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3)

[سورة الإنسان]



حمل الأمانة يعني الحرية والاختيار

ما دمت قبلت أن تحمل الأمانة فأنت الآن حرٌّ مختار، لك أن تسلك طريق الحق، ولك أن تسلك طريق الباطل، ولكن ينترتب على طريق الحق ما ينترتب، وينترتب على طريق الباطل ما ينترتب، مثل الجامعة: الطالب له أن يدرس، أو ألا يدرس، لكن إذا درس ينجح، وإذا ما درس يرسب، فانت مخير في سلوك طريق من طريقين هذا من مقومات التكليف أنك حر، مختار، ليس هناك حرية مطلقة في الكون كله هذا ذكرته سابقاً، لا أدري إن توافقوني فيه، كل من يقول لك: هناك حرية بمعنى المطلقة فهذا غير موجود، لكن إما أن ينضبط الإنسان بصواب الشريعة، فيكون مقيداً بقيد الحق جلّ جلاله، أو إن يقيد بقيد الخلق، لا يوجد جهة في الأرض تعطي حرية بمعنى الحرية، يقول لك: حريتك تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين، حريتك بقوانين السير إذا الإشارة حمراء يجب أن تقف، أنا حر يجب ألا أتوقف إذا أردت ذلك، لا، هنا يصبح ضرر، أما تريد أن تقيدني، إذا أنت تقيدني في النهاية، تقيدني بشيء، أنت حر لكن لا تستطيع أن تعتدي على العلم مثلاً في أمريكا، أو على رموز الدولة، أو هناك أشخاص بالدولة ممنوع الحديث عنهم نهائياً، يوجد قيود، كل دولة، كل جيش، كل نظام وضعي في الأرض يضع لك قيوداً، الحرية المطلقة بمعنى أن تفعل كل ما يحلو لك هذا غير موجود، هذا وهم، كل الناس مقيدون، لكن المسلم ارتضى أن يتقيد بقيد الشرع، ما دمت تريد أن أتقيد وأتقيد يجب أن أعطى الحلال والحرام، وأفعل ولا تفعل من الخالق، لماذا أخذها من المخلوق؟ بل أخذها من الخالق الذي خلقني، لأنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا يَبْنِيكَ مِنْ حَبِيرٍ (14)

[سورة فاطر]

ولأن الذي خلق هو الذي يعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14)

[سورة الملك]

إذا ربنا عز وجل جعلنا أحراراً فعلاً لأننا لا نخضع إلا له، غير المؤمن يقول لك: أنا حر، هو مقيد لأنه يخضع لكل شيء إلا لمنهج خالقه، فمن الحر؟ الذي يخضع لله، قمة الحرية أن تكون خاضعاً لجهة واحدة هي الخالق، ثم تتحرر من كل القيود الأخرى، أما غير المؤمن فيلتزم بمئة قيد وقيد لكن يقول: أنا لا أستطيع أن أفعل هذا الأمر بغضبوني عليّ، ولا يعطونني العيزاء، لا أقدر أن أعمل هذا الموضوع، هذا محرم، عليه فيتنو، هذا الكلام ممنوع، هذا غلط لا أستطيع إلا أن أتكلم، هذا يوجد فيتنو عليه ممنوع الكلام فيه، هذا شخص فوق النقد لا أقدر أن أنقده، عنده مئة قيد وقيد بحياته، المؤمن يقول لك: أنا عندي قيد واحد هذا برضى الله أو لا برضى الله، والباقي أنا حر من كل قيد. إذا الحرية حرية الاختيار مقومة من قبل التكليف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا (3)

[سورة الإنسان]

التفسير والتخير:

أي شخص يقول لك: إن الإسلام أو الله تعالى أجبرنا، هذا كلامه مردود عليه، قال تعالى في آية واضحة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْتَا "الَّذِينَ اشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اشْرَكْنَا" وَلَا أَبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْتَا "فَلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148)

[سورة الأنعام]

لماذا أشركتم بالله؟ (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اشْرَكْنَا) إله أجبرنا، الله أجبرنا على الشرك (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اشْرَكْنَا) (فَلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا) عندكم دليل على ذلك القول؟ (إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) أي أنتم كاذبون، الذي يقول: لو شاء الله ما أشركت فهو كاذب، من يقول ذلك تقل له: لماذا لم تصل؟ يقول لك: ادع الله لي بالهداية، لماذا تنزل إلى عمك؟ حتى أحصل مالا، اجلس بالبيت وأدعو لك بالرزق؟ لا يرضى، يريد أن ينزل، أما هو فلا يريد أن يتحرك إلى الهداية، فالإنسان أحياناً يرمي أخطأه على القدر، يقول لك: الله قدر عليّ ذلك، هذا هروب من المسؤولية، القدر قدر، نحن نؤمن بالقدر، لكن أن يتهرب الإنسان من المسؤولية بدعوى أن الله قدر ذلك عليه فهذا ليس صحيحاً بحال، الله تعالى يقول في قرآنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
"وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا"> وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13)

[سورة السجدة]

البعض يتوهم أن الله أجبرنا **(وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا)** بالعكس هذه الآية توضح أن الإنسان مخير، ولو شئنا أن نجبركم على شيء لأجبرناكم على الهدى مثل الملائكة، لكنك مخلوق مكلف، لا يمكن أن يؤتي الله كل نفس هداها، الله ترك لك الخيارين أن تسلك أيهما تريد، طريق الحق لك ذلك، طريق الباطل لك ذلك.



الإنسان مسير ثم مخير

الإنسان مسير ثم مخير، كيف مسير في كل ما يكلف به، أي متى ولدت؟ عام 1977، هل لك خيار في ذلك؟ لا، ليس لي خيار، أنا مسير، لا أحد أخذ رأبي أي سنة تريد أن تكون؟ الله اختار لي أن أتى بهذا العام، تاريخ الوفاة؟ لا أعرف، مسير، الطول؟ لا أعرف، لونه العيين؟ لا أعرف، الأم؟ الأب؟ البلد؟ الزمن؟ هذه أشياء أنا مسير بها، الله اختارها لي وأنا أؤمن أن اختيار الله عز وجل لي هو الخير، يا رب اخترت أن أكون بهذا الزمن، رب لك الحمد، اخترت لشخص ثان بزمان النبي صلى الله عليه وسلم، يا رب لك الحمد، كل إنسان الله اختار له زمناً، اختار له مكاناً، بيئة، فنحن مسيروا في هذه الأمور، لكن التيسير هذا ليس له علاقة بالتكليف، أي الله لا يحاسبك يوم القيامة ويقول لك: لماذا أنت طويل، ولماذا أنت قصير؟ لأنه هو سيترك في هذه الأمور، فلن يحاسبك عليها، لا يحاسبك على الأمور التي سيترك فيها، لكن عندما قال لك: افعل ولا تفعل، ترك لك الخيار أن تفعل أو لا تفعل، ما تحاسب عليه أنت مخير فيه، وما لا حساب فيه أنت مسير فيه، فالإنسان يبدأ بالتيسير ثم التخيير، ثم قد يكون مسيراً بعد التخيير، هذه أعمق، كيف هو مسير بعد التخيير؟ ربنا عز وجل قال له: اذهب من طريق الحق أو من طريق الباطل، من طريق الأمانة أو من طريق السرقة، فاختار طريق السرقة، الآن قد يسيره الله تعالى إلى من يريد الله تعالى أن يسرق منه، إما أن يرفع درجة هذا المسروق منه، أو ليكفر عنه سيئة، أو ليعاقبه على حيس ركانه، يوجد منه خيار، حكمته جلّ جلاله عامة، فأنت عندما تختار الطريق الذي تريد قد تسير إلى دفع ثمن اختيارك، قد يسير الإنسان لدفع ثمن اختياره، يقول لك: والله لا أعرف لماذا ذهبت إلى هذا المكان، وجدت نفسي مسيراً إلى ذلك المكان دون أن أشعر، لكن عندما تكلف افعل ولا تفعل فأنت مخير حتماً، وإلا لا يوجد معنى للأمر، ولا للنهي، ولا يناقش الموضوع كثيراً.



أمر الله تعالى لك ونهيه معناه أنك مخير

إذا كنت تقود سيارة، وهناك أخ راكب أمامك، وثالث يركب بالمقعد الخلفي، الأخ الذي بالمقعد الخلفي أراد أن يبدل على الطريق، فربت على كتف من يجلس أمام السائق وقال له: يا فلان الطريق على اليمين، ماذا يقول له هذا الذي يجلس على اليمين؟ يقول له: أنا لا علاقة لي بالأمر لماذا تأمرني؟ قل هذا للذي يمسك المقود، لأنه هو الذي يملك الانحراف نحو اليمين أنا لا أملكه، فأنت عندما تكلف إنساناً لا يعقل ولا يقبل إلا أن يكون قادراً على تنفيذه، بمجرد أن الله تعالى يقول في القرآن: افعل ولا تفعل معناها أنت مخير، وإلا هذا كلام عبث، تعالى الله، حاشا لله، أيعقل ربنا عز وجل يقول لك: صلّ، وأنت تقول له: والله لا أستطيع ليس بيدي، مستحيل! ما دام ربنا جلّ جلاله يقول للإنسان:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ"> إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم مِّمَّا آتَاكُم مِّنَ لَّحْمِ أَخِيهِ مِمَّا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (12)

[سورة الحجرات]

أستطيع أن أجتنب كثيراً من الطن، بخياري ذلك، ما دام يقول لي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ
دَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9)

[سورة الجمعة]

معنى هذا أنني أستطيع أن أسعى، إذاً لماذا يأمرني؟ ما دام يقول لي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الطَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الطَّنِّ إِتْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم
بَعْضًا أَجِبْتُ أَدْكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَحِبِّهِ مَنِبَأَ فِكْرِهِمْ وَمَاتُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (12)

[سورة الحجرات]

أنا مخير أن أعتاب أو لا أعتاب، وإلا ما قال لي: (وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا) أي من يقول إن الإنسان مخير في حياته يلغي القرآن الكريم والسنة النبوية كلها، لماذا يأمر وينهى إذا لم أكن قادراً على ذلك؟ إن لم يكن المقود بيدي؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَلِكُلِّ وَجْهٍ مِّن مَّوَلِّيهَا فَاغْتَبُوا الْخَيْرَاتِ أَيَّن مَّا تَكُونُوا يَأْتِ كُفْرًا جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)

[سورة البقرة]

(فَاغْتَبُوا الْخَيْرَاتِ) تستطيع أن تستيق الخيرات (وَلِكُلِّ وَجْهٍ) الإنسان (هُوَ مَوْلِيهَا) هو الذي يولي الوجهة التي يريد (فَاغْتَبُوا الْخَيْرَاتِ) بادر إلى الخيرات، بادر إلى الطاعات، سابق إليها لأنك تستطيع ذلك، أنت من تولي وجهتك التي تريدها، ولا يحدث ذلك طبعاً إلا بفضل الله، وكرم الله، و قدر الله، و توفيق الله، هذا نؤمن به، لكن الخيار لمن؟ الكسب ممن؟ من الإنسان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 لَا يَكُلِّفُ اللَّهُ تَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا
أَوْ أَخْطَاْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا
فَاغْتَبْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)

[سورة البقرة]

أما التوفيق والتيسير فمن الله، أنا أملك أن أسير في طريق الحق فيسيرني في طريق الحق، غيري ينوي أن يسير في طريق الباطل فيسيره في طريق الباطل، ليحقق له اختياره، ويملي له، ليحقق اختياره، فرينا عز وجل منحنا حرية الاختيار، نحن مخيروا من بين كل المخلوقات، الإنس والجن مكلفون ومخيروا، مخير تستطيع أن تسلك أي الطريقين تريد لأنك مكلف ومسؤول.

عدل الله مطلق:

آخر شيء في المقومات أيها الأخوة الكرام؛ هذه ستة مقومات، آخر شيء كتعليق على جميع المقومات، ربنا عز وجل قال في كتابه الكريم، وأطن ذكرت ذلك ولكن للتأكيد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِيُثَبِّتَ دُونَ سَعَةِ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ فُيِّرَ عَلَيْهِ رُفُوهٌ فَلْيُثَبِّتْهُ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ > لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا
أَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (7)

[سورة الطلاق]



انظر إلى نفسك وما آتاك الله

الله آتاك، والله آتاني، والمسلم الذي يعيش بالغرب الله آتاه، وغير المسلم الله آتاه، وكل واحد ربنا آتاه شيئاً من مقومات الأمانة، و سيحاسبه على ما آتاه، فأنت لا تنظر إلى غيرك وتقول: فلان كيف سيحاسبه الله؟! أنت انظر إلى نفسك، وما آتاك الله لأنك ستحاسب على ما آتاك، آتاك مالا ستحاسب على المال، آتاك أنه فادك إلى الحق، وأسمعك كلمة الحق سيحاسبك على ذلك، آتاك أنك جار المسجد وتسمع الأذان في كل يوم خمس مرات سيحاسبك على ذلك، غيرك لا يسمع الأذان ربما يعيش في مكان في محاهل إفريقيا، يوجد أناس كثيرون كل واحد الله آتاه، وربنا عز وجل بناء على ما آتاه بحاسبه، وبناء على ما آتاه يكلفه، فنحن لا ينبغي أن ننشغل بغيرنا، فكل إنسان آتاه الله شيئاً، لا يوجد إنسان إلا والله آتاه، مادام مخيراً، ما دام عنده فطرة، عنده عقل، مسخر له الكون، كل إنسان ربنا آتاه، هناك أشخاص جاؤوا إلى الحياة بشرائع مختلفة، هناك أشخاص ممكن أن يحاسبوا على فطرتهم، وعلى عقولهم، لم تبلغهم الشريعة، لم يبلغهم أفعال ولا تفعل، سيحاسبون على العموم، على الإحسان، على عدم الظلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَوُضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
حَاصِرًا > وَلَا يَطْلِمُ رُتْكَ أَحَدًا (49)

[سورة الكهف]

لا يوجد ظلم نحن موقنون بذلك، لأن الله جلّ جلاله أخبرنا أنه لن يظلم أحداً والخلائق كلها يوم القيامة عندما ينقضي الحساب ستقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَاقِقِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ > وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ (75)

[سورة الزمر]

كل الخلائق ستحمده الله، لأنها تعلم حينها أن عدل الله جلّ جلاله مطلق، اليوم إذا كان هناك فاض من قضاة الأرض حكم منه حكم في حياته، تسعة وتسعون صح وأخطأ بحكم واحد ماذا يسمى؟ فاض عادل، هل يستطيع إنسان أن يقول: الفاضي ظالم لأنه يوجد بحياته حكم فيه ظلم؟ لا، لأن العدل نسبي بالحياة، حسب ما سمع، لكنه عادل، ربنا جلّ جلاله عدله مطلق، لا يوجد واحد بالمنة غلط، نسبة الخطأ صفر بالمنة، مستحيل يظلم (ولا يظلم رتلك أحداً):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبَصَّعُ الْمَوَازِينِ الْقَيَْامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا
 وَكَفَىٰ يٰٓأَخِيسِيْنَ (47)

[سورة الأنبياء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ تَقِيرًا
 (124)

[سورة النساء]

ولا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِلِ اللَّهِ يُرْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ قَبِيْلًا (49)

[سورة النساء]

حبة نواة التمر، النقيز النقطة التي خلفها، والقطمير التي بداخلها، والفتيل الذي يظهر على طرف النواة ما وزنه؟ لا شيء، هذا كله لا تظلمه عند الله، كل عمل ستجده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا
 وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاصِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)

[سورة النساء]

فتيقنوا أحببنا الكرام أن الله تعالى لن يظلم أحداً (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ تَعْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا)، (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ تَعْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)
هذه مقومات التكليف، أسأل الله تعالى أن يكون فيها النفع والخير والفائدة.

والحمد لله رب العالمين